

Abstract:

The Algerian identity consists of the same elements of any identity in the world, which are represented in language, culture, history, as well as collective consciousness and inherited social norms. However, the Algerian identity has its own specificity and characteristics that have been marked throughout history, which gives it the characteristic of exclusivity and incomparability with the identity of the infidel occupier, which has nothing to do with anything of civilization or intellectual affiliation, be it national or national. The Algerian identity has undergone many conflicts and transformations that it suffered from The Algerian people are under exclusionary policies that deny their existence under a colonial regime for more than a century and more, with the aim of exterminating an entire people and abolishing their existence or integrating them under the culture and rule of the French colonialist.

One of the important aspects that the French colonial policies target in the Algerian identity is the targeting of the Algerian Arab language, customs and traditions. The popular and later political resistances, despite their different forms and ideological tendencies, constituted a categorical and logical rejection of all forms of occupation and its consequences, and the insistence on proving the existence of this nation striking in the history of this glorious land by confronting all forms of obliteration and occultation.

مقدمة:

تشكل الهوية عنواننا للذات، واعترافا بالوجود، وسمة تميز المجتمع قبل الفرد، عن غيره من المجموعات البشرية. ولهذا فقد أخذ موضوع الهوية أهمية بالغة، وارتبطت دراسته بجميع فروع العلوم الاجتماعية؛ خاصة علم الاجتماع والفلسفة والأنثروبولوجيا، لارتباطهم المباشر بدراسة التوجه السلوكي للإنسان و نمط بنائه

الاجتماعي. وغدا مصطلح الهوية في الفترة الأخيرة، أحد أهم المواضيع الاجتماعية دراسة و استقصاءا تبعا للبعد التاريخي والثقافي العميق للمجتمع الجزائري، وتنوع بنيته الاجتماعية، وراثته الثقافي واللغوي، كما توجب علينا دراسة الموضوع دراسة علمية معمقة بعيدا عن الشوفينية العرقية و الإثنية الضيقة ، والذاتية المتسترة خلف الانتماءات الأيديولوجية؛ لتعزيز القيم الذاتية و تعزيز الشخصية الوطنية ، و كذا وبعث روح الشعور بالانتماء للجماعة ، والحساس بواقعية المصير المشترك .

أردت أن أقف في هذا المقال على واقع الصراع بين الجزائر و القوى الاستعمارية المختلفة المتصارعة على الجزائر و في مقدمتها فرنسا التي كانت تتحين الفرص السانحة للإستلاء على الجزء الإستراتيجي المهم في الحوض الغربي للبحر البيض المتوسط بعدما عجزت اغلب الحملات الأوروبية المتتالية منذ القرن 16م و حتى الربع الأول من القرن 19م و التي كان أخطرها محاولة الملك الإسباني شارل الخامس لمدينة الجزائر سنة 1541 و آخرها حملة إكسماوث البريطاني سنة 1816، و من هذا المنطلق حاولت توضيح و تتبع واقع الإستعمار للجزائر و من ثمة تبيان كيف أغفل الأوروبيون عامة و الفرنسيون خاصة -لأسف- وهم يسجلون تاريخ استعمار الجزائر بطولات المقاومة الوطنية وأشاروا إليها في ثنايا مؤلفاتهم باعتبارها حدثا عارضا لا قيمة له أثناء غزوهم للجزائر بل و أنكروا على هذه البطولات تلك الانتصارات ووصل الأمر بهم إلى حد اتهام هذه القيادات الوطنية بالجنون وركزوا على وسائل القضاء على هذه الزعامات الوطنية فجاءت كتاباتهم تتويجا لبطولات أبنائهم من القادة العسكريين واتسمت أعمالهم بالتحيز والبعد من الموضوعية والتركيز على النواحي والسير الذاتية.

ومن هنا تبدو لنا الإشكالية التالية : "ما هو مفهوم الهوية و عناصرها ؟" هل توجد علاقة بين أزمة الهوية ومفهوم الذات ، و ما هو واقع الهوية الجزائرية في ظل التحديات الإستعمارية وكذا الراهنة "

1. ماهية الهوية و عناصرها :

يُعرف المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية "الهوية" فلسفياً بأنها :
(حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره ، أو هي بطاقة يثبت فيها اسم
الشخص وجنسيته ومولده وعمله ، وتسمى البطاقة الشخصية أيضاً) (1). وأما
آراء المفكرين حول مفهوم الهوية فيلاحظ أن الأمر لا يختلف كثيراً ، وإن كان
يتصف بأنه أكثر تحديداً ؛ لأنه يرتبط بالبُعد الثقافي أو الاجتماعي للمصطلح ،
فقد عرّفها سعيد إسماعيل علي بأنها : (جملة المعالم المميزة للشيء التي تجعله هو هو
، بحيث لا تخطئ في تمييزه عن غيره من الأشياء ، ولكل إنسان شخصيته المميزة له
، فله نسقه القيمي ومعتقداته وعاداته السلوكية و ميوله واتجاهاته وثقافته ، وهكذا
الشأن بالنسبة للأمم والشعوب) (2).

هذا و لم يتفق المؤرخون و الباحثون على تعريف واحد ومحدد لمفهوم الهوية، إلا
أنهم تقاطعوا في تعريفاتهم المختلفة على ملامح عامة تلخصت في كون الهوية ثقافة
اجتماعية، وسياسية، وتاريخية تصبح مشتركة تربط مجموعة من الأفراد الذين يعيشون
في مجتمع ما الى الحد الذي يصبح لهم فيه مصير واحد وهموم يشتركون فيها وآمال
يتطلعون اليها معا. وكما أن لكل شعب من الشعوب هويته الوطنية الخاصة التي
تجمعه وتميزه عن غيره من الشعوب. فإن للشعب الجزائري هويته الوطنية التي
تشكلت معالمها وبنيت سماتها على مر التاريخ. سيحاول هذا المقال عرض آثار
النظام الإستعماري الفرنسي على الهوية الجزائرية والدور الذي يلعبه هذا النظام في
تشكيل الهوية الوطنية وشرذمتها والمساس بمكوناتها الإيديولوجية و القومية انطلاقا
من اللغة و التاريخ و الدين.

هذا و يمكننا القول أنه " قد فرضت كلمة الهوية نفسها في الفكر الفلسفي عامة،
و الفكر الفلسفي العربي على وجه الخصوص " (3)، كما "يطلق مفهوم الهوية على
نسق المعايير التي يعرف بها الفرد، و ينسحب ذلك على هوية الجماعة و المجتمع و
الثقافة. و يعد مفهوم الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في
مجالات علمية متعددة و لاسيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي،

و بالتالي من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا الثقافية و الإجتماعية اليومية ، و أكثرها شيوعا و استخداما "(4)". ..وعلى الرغم من البساطة الظاهرية التي يتبدى فيها مفهوم الهوية فإنه و على خلاف ذلك يتضمن درجة عالية من الصعوبة و التعقيد و المشكلة و ذلك لأنه بالغ التنوع في دلالاته و اصطلاحاته، فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة و إلى الأبد ، إنما حقيقة تولد و تنمو، و تتكون و تتناغم و تتغير ، و تشيخ و تعاني من الأزمات الوجودية و الاستلاب "(5)". تعتبر الهوية من الموضوعات ذات الاهتمام المتزايد لاسيما في مجال السياسة الخارجية و العلاقات الدولية منذ مطلع القرن الحادي و العشرين، بعد أن كان تفسير العلاقات بين الوحدات الدولية مقتصر و إلى حد كبير على عوامل مادية محددة كالقوة و المصلحة و يتطلب فهم السلوك السياسي الخارجي لأية دولة و علاقتها الخارجية، و الوقوف على تأثير جملة من العوامل المحددة لتلك السياسة، و التي تشمل العوامل الداخلية، و الخارجية، و تلك المتعلقة بالقائد السياسي، حتى يمكن معرفة توجهات الدول في سلوكها السياسي. و قد سعت الدراسة إلى التعرف إلى عامل الهوية و مكوناته البنوية و أثره في صنع سياساتها ، كما سعت إلى الوقوف على العوامل التي تسهم في بناء الهوية الوطنية ، و التعرف على منظومة القيم ، و على الثوابت و المراكز الأساسية لسياستها ، و دراسة الطبيعة المؤثرة لعامل الهوية في صنع السياسة للدول على كافة المستويات.

و قد أصبح مفهوم الهوية الاجتماعية اهتمام جميع المجتمعات، لأنه يركز على السياق الثقافي الاجتماعي من حيث المنشأ والتكوين، مما أدى إلى زيادة التأكيد الحضاري على أهمية تعزيز الهوية من جميع مختلف مجالات الحياة الاجتماعية من خلال عملية التنشئة الاجتماعية، بحيث تصب في المجتمع من خلال الشخصية والأدوار التي تؤديها في البيئة الإنسانية، لأن عملية اكتساب الهوية تعتبر من أهم الوظائف الأساسية التي تقوم عليها التنشئة الاجتماعية، فهي بوابة الانتماء إلى ثقافة المجتمع وبمنزلة الأم لجميع أنواع التنشئة (السياسية،

والاقتصادية، والعملية) وغيرها، حيث تعمل بكل جد على اكتساب عناصر الثقافة وممارسة المهارات المطلوبة للتفاعل مع البيئة والمجتمع، عن طريق أنواع النشاطات التي تتطابق مع الهوية، والعلاقات داخل الجماعات.

2. العناصر الأساسية للهوية :

للهوية عناصر أساسية لها فضل كبير في تجسيد مفهوم الهوية و إبرازه حتى تكون له منفعه وحاجياته و لعل أهمها ما يأتي:

1.2 عناصر مادية و فزيائية :

- أ. الحيازات : الإسم ، الآلات ، الموضوعات، الأموال السكن ن الملابس.
- ب. القدرات : القوة الإقتصادية ، المالية ، العقلية .
- ت. التنظيمات المادية : التنظيم الإقليمي ،نظام الإتصالات ، نظام السكن.
- ث. الإلتماءات الفزيائية : الإلتماء الإجتماعي ،اسمات الموفولوجية الأخرى.

2.2 عناصر تاريخية:

- أ. الأصول التاريخية: الأسلاف ن الولادة ،الإسم ، المبدعون، الإتحاد القرابة ، الأبطال الأوائل، الخرفات.
- ب. الأحداث التاريخية: المراحل الهامة في التطور ، التحولات الأساسية ، التربية و التنشئة الإجتماعية .
- ت. الآثار التاريخية:التقاليد العادات، القوانين التي وجدت في السنوات الماضية.

3.2 الآثار النفسية و الثقافية :

- أ- النظام الثقافي: المنطلقات الثقافية، المعتقدات و الأديان ، الرموز الثقافية نظام القيم الثقافية، الإديولوجيا.
- ب- العناصر العقلية: النظرة إلى العالم ، نقاط التقاطع الثقافية ،المعايير الجمعية ، التقاليد الإجتماعية(6).

3. مفهوم الذات و الثقافة الهوية:

وهو " المعنى المجرد لأدراكنا لأنفسنا جسماً ونفسياً وعقلياً واجتماعياً في ضوء علاقتنا بالآخرين، وهو قابل للتعديل تحت شروط معينة، وهذا المفهوم هو النواة التي تقوم عليها الشخصية" (7) لذلك فإن الثقافة في الحقيقة ليست إلا المجتمع نفسه وقد أصبح مظهراً للوعي أو وعياً، وهذا الوعي هو في ذات الوقت وعي للذات، ومسألة الهوية توحى وللوهلة الأولى، إلى المسألة الأوسع وهي مسألة الهوية الاجتماعية التي تعد الهوية إحدى مكوناتها، إذا لا يمكننا التطرق إلى مفهوم الهوية إلا إذا حددنا بعدها الاجتماعي وعليه تعبر الهوية الاجتماعية محصلة مختلف التفاعلات المتبادلة بين الفرد مع محيطه الاجتماعي القريب والبعيد، والهوية الاجتماعية للفرد تتميز بمجموع انتماءاته في المنظومة الاجتماعية؛ كالانتماء إلى طبقة جنسية أو عمرية أو اجتماعية أو مفاهيمية ، وهي تتيح للفرد التعرف على نفسه في المنظومة الاجتماعية وتمكن المجتمع من التعرف عليه ، ولكن الهوية الاجتماعية لا ترتبط بالأفراد فحسب، فكل جماعة تتمتع بهوية تتعلق بتعريفها الاجتماعي وهو تعريف يسمح بتحديد موقعها في المجموع الاجتماعي.

4. أزمة الهوية الجزائرية في ظل الإحتلال الفرنسي:

إن الهوية الجزائرية تتكون من نفس عناصر أية هوية في العالم والتي تتمثل في اللغة، الثقافة، و التاريخ وكذا الوعي الجماعي والمعايير الاجتماعية المتوارثة. إلا أن الهوية الجزائرية لها خصوصيتها و سماتها التي ارتسمت معالمها عبر التاريخ مما يعطي لها صفة التفرد و عدم مقارنتها بهوية المحتل الكافر و الذي لا يمت بصلة لأي شيء لحضارة أو انتماء فكري كان أم قومي، فقد خضعت الهوية الجزائرية للعديد من الصراعات والتحويلات التي عانى منها الشعب الجزائري تحت سياسات إقصائية ونافية لوجوده في ظل نظام إستعماري منذ ما يزيد عن قرن و يزيد ، بهدف إبادة شعب بأكمله وإلغاء وجوده أو دمج تحت ثقافة وحكم المستعمر الفرنسي.

ومن الجوانب المهمة التي تستهدفها سياسات الاستعمار الفرنسي في الهوية الجزائرية هو إستهداف اللغة والعادات والتقاليد العربية الجزائرية. لقد شكلت المقاومات الشعبية و

كذا السياسية فيما بعد على تباين أشكالها و ميولاتها الإيديولوجية، رفضا قاطعا و منطقيا لكل أشكال الاحتلال وتوابعه، والإصرار على إثبات الوجود لهذه الأمة الضاربة في تاريخ هذه الأرض المجيدة و ذلك بمواجهة كافة أشكال الطمس والتغيب. و يذكر كثير من المختصين في هذا الحقل العلمي، بأن "اللغة والهوية هما وجهان لشيء واحد، بعبارة أخرى: إنّ الإنسان في جوهره ليس سوى لغة وهوية. اللغة فكره ولسانه وفي الوقت نفسه انتماءه علما أن اللغة الفرنسية في الجزائر مشبعة بالقيم الكنسية، ورافد رئيسي للأيديولوجية الاستعمارية وكواحدة من مشتقاتها... ومرجع ذلك، أن النخبة الفرنكفونية مرت بدرجة أو بأخرى عبر غربال الآباء البيض ومدارسهم الابتدائية و الإكمالية . و مهما يكن من أمر فإننا نقف على عمق السياسة التبشيرية و على طبيعة التحالف الإستراتيجي المتين وعلى عمق التعاون الوثيق الذي جمع بين السلطة الاستعمارية الفرنسية بالكنيسة بنية تنصير الشعوب وبخاصة الواقعة جنوبها و إعادتها إلى ديانتها البربرية القديمة أي دين أجدادها الرومان و حكم بيزنطة . لعل أهم نموذج لهذه السياسة هو الكردينال لافيغري (*).

مما سيعطي لفرنسا مكانتها المتميزة ، التي كانت تحلم بها و تسعى إليها دائما بين منافسيها كانجلترا يعطيها دون شك إشعاعا يمكنها من نشر عاداتها و لغتها و رايتها و أسلحتها و عبقريتها كما وضحه جول فيري في بيانه لشروط عظمة فرنسا . و قد باشرت فرنسا في إفريقيا في شمالها و جنوبها دور الحارس الأول للمسيحية في الخارج ، رغم طابعها اللائكي في الداخل. لقول أحد رجالاتها : اللائكية صالحة لفرنسا و ليست بضاعة للتصدير (8).

و هو ما حمل الشيخ عبد الحميد ابن باديس زعيم جمعية العلماء المسلمين يقف شامخا في وجه دعاة التغريب و الفرنسة حينما تمادوا في إنكار الوطنية والوجود الجزائري لقولهم «.. لو أني اكتشفت الأمة الجزائرية لكنت قوميا، و لن أشعر بأن خجل من ذلك .. لقد سألت التاريخ و الأموات والأحياء و زرت المقابر، لم يحدثني أحد عن ذلك .. إن فرنسا هي أنا لأني أمثل الجمهور فأنا جندي وأنا العامل والصانع .. إن

مصالح فرنسا هي مصالحننا ، طالما أصبحت مصالحننا هي مصالحن فرنسا» (9) و ذكرهم قائلا: « إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ، و لا يمكن أن تكون فرنسا ، و لا تريد أن تكون فرنسا ، و لا تريد أن تصير فرنسا ، و لا تستطيع أن تصير فرنسا و لو أرادت ، بل هي أمة بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها و أخلاقها و في عنصرها و دينها ، ..لا تريد أن تندمج» (10) .

وكذلك رد على المشككين بالهوية والشخصية الوطنية بأبياته الخالدة قائلا:

شَعْبُ الْجَزَائِرِ مُسْلِمٌ وإلى العروبة يَنْتَسِبُ
مَنْ قَالَ حَدَّ عَنْ أَصْلِهِ أو قَالَ مَاتَ فَقَدْ كَذَبَ

و أمام لجنة برلمانية فرنسية سأل رئيس اللجنة - في جلسة رسمية - رجال جمعية العلماء عن الإصلاح المنشود في الجزائر، فأجاب ابن باديس :

« إنني أحقق لكم - قبل كل شيء - أمرين، هما:

- 1-** إن كل محاولة لحمل الجزائريين على ترك جنسيتهم أو لغتهم أو دينهم أو تاريخهم أو شيء من مقوماتهم هي محاولة فاشلة مقضي عليها بالخيبة...
- 2-** إن الحالة التعييسية التي بلغت إليها الأمة الجزائرية - وقد اطلعت عليها أنتم أكثر من غيركم لا يمكن أبدا أن يستمر صبر الأمة الجزائرية عليها أكثر مما صبرت « (11)

و يعرف ابن باديس الأمة هي تحقيق لكل شروط الوجود السياسي، فهو يؤمن دائما بالأمة الجزائرية، فلم يستخدم ابن باديس مصطلح الهوية، وإنما استخدم مصطلح قريب منها :كالذاتية، الشخصية الوطنية، الجنسية القومية، الجنسية السياسية، القومية الوطنية. كما دعا الإمام عبد الحميد بن باديس إلى رفض سياسة الاندماج مع فرنسا والتمسك بمقومات الشخصية الجزائرية ، ففلسفته عمادها كتاب الله وسنة رسوله، التي هي عمود الإصلاح و أن صلاح العلماء

باعتبارهم القدوة والمثارة _ شرط لكل تغيير حضاري _ حيث يقول في هذا الصدد "لن يصلح المسلمون حتى يصلح علماءهم، ولن يصلح العلماء إلا إذا صلح تعليمهم ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه (12).

« فبدون العلم تبقى الأمم راكدة وجامدة ذلك هو العلم الحق الذي ينفع الله بها الخلائق ويكون لأهله منه ذكر يطوى وثناء لا ينفذ ومنزلة الفردوس لا تعلوها إلا منزلة الأنبياء والصديقين.. » (13) ، هذا و تأتي هذه السياسة الفرنسية ضمن منظومة مهنجة و مدروسة، فمن خلال فرض المناهج التعليمية باللغة الفرنسية منذ مطلع القرن 19م ، بهدف خلق وعي وذاكرة بديلة للشعب الجزائري و يؤكد على أحقية المستوطن فيها . يتوافق ذلك مع تغيير أسماء الأماكن الجزائرية إلى أسماء فرنسية (كجان دارك مثلا)، وجعل هذه اللغة الدخيلة جزءاً من حياة الجزائري اليومية. و قد تسببت هذه السياسة بنسيان أسماء الأماكن المحلية وتاريخها، والأكثر خطورة ما يحدث من استخدام لهذه المصطلحات دون وعي بأنها كانت مناطق جزائرية بحثة، هذا التشتيت في المحصلة لا يهدف إلى صهرهم في مجتمع استعماري يتنكر لحقوقهم وثقافتهم أصلاً كما يتوهم البعض، بل يهدف إلى تكريس الاغتراب عن الذات، والوطن والهوية ما يؤدي إلى مزيد من الانكسار. و يتضح هذا عندما ندرك إن هذا التقسيم لا يقتصر فقط على الجانب الديموغرافي للسكان، بل انعكس على مناحي الحياة الاجتماعية، الثقافية، السياسية، وحتى الاقتصادية للفرد الجزائري.

و ختم السيد عبد الحميد ابن باديس دعوته إلى التآلف و الوحدة لقول: " ليس تكوين الأمة يتوقف على اتحاد دمها و لكنه يتوقف على اتحاد قلوبها و أرواحها و عقولها اتحادا يظهر في وحدة اللسان و آدابه و اشتراك الآلام و الأمل" (14) .

5. الخاتمة:

إن ما يمكن أن نستخلصه من خلال هذه الدراسة و التي موضوعها إشكالية الهوية و الذاتية والوطنية والنضال القومي حلقة و التي هي ترابط يجب التنبه لها والتعامل معها بمنتهى الدقة والوضوح على قاعدة الشراكة الندية وتكامل المصالح، فاعتبار الوطنية أولا، ليس خطأ أو ضررا طالما ثمة ثانيا له بعد قومي، وبالتالي فالوطنية الجزائرية لا تعني أبدا التخلي عن الهوية القومية أو تذويبها كما كانت تطمح فرنسا لذلك وتسعى على تحقيقه .

ومن هنا يبرر المشروع الإمبريالي و الهيمنة الفرنسية انطلاقا من مبدأ الفكر الاستعماري و المتمثل في التفرقة على أساس الهوية و الدين ، فالقوى المسيطرة متيقنة بأنها تتمتع بالتفوق الثقافي العلمي، التكنولوجي، الاقتصادي و هذه المميزات و غيرها جعلت من تفوق الجنس الغربي على سائر الأقوام ضرورة و منطق ، حيث أصبح من واجبه السيطرة من أجل فرض هذا التفوق، وغدا هذا الإحساس يشكل جوهر الإمبريالية، أي أنه أضحي يعطي الشرعية لسيطرة الدول الأوروبية و تبرير توسعها الاستعماري لكونها تحمل رسالة التحضر و التمدن بمهدف إخراج العالم من التخلف و الظلامية.

و الواقع عكس ذلك إذ أن فرنسا التمدن و التحضر و حقوق الإنسان و الثورة الفرنسية ما هي إلا سياسة ذر الرمذ في الأعين و بل وجهها قبيح ملطخ بدماء الجزائريين العزل الذين ذهبوا جراء العنجهية و البربرية الفرنسية طيلة 132 سنة من وجودها على هذه الأرض المباركة، و جل أعمالها لا تمت بصلة إلى مبادئ حقوق الفرد أو الجماعات .

6. الهوامش:

- 1- إبراهيم أنيس و عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالحي ، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2004، ص 740.

- 2- رشدي أحمد طعيمة ، الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998، ص 35.
- 3- سالم لبيض، الهوية الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط: 01، بيروت 2009، ص 32.
- 4- أليكس ميكشلي ، الهوية ، ترجمة: علي وطفة ، دار وسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ، 1993، ص 07.
- 5- نفسه .
- 6- نفسه، 19.
- 7- منصر، نجبية، مفهوم الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدى الطالب الجامعي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر. 2017، ص 36.
- (*)- **الكاردينال لافيغري**، القديس (le cardinal Charles Lavigerie) شارل مارسيال ألمان لافيغري من مواليد (31 أكتوبر 1825 - 18 نوفمبر 1892) كاردينال فرنسي نشأ في ببايون (Bayonne) بالبيروني.
- شخصية جمعت ثلاث عناصر جنسية هي (الباسك _ Basque ، البيارني _ Bearnais ، والغاسكون _ Gascon) و التقت في شخصه كل العناصر (الحب، القوة، العنف، رقة القلب والطيبة ..) ، فقد وصف مرة نفسه فقال : « أنا باسكي ولي مزاج متصلب عندما تقتضي الظروف ، وأنا طفل من البيروني لا تخيفه الجبال و باستطاعتي تعديها بسهولة وبكل الطرق المتاحة لدي .. » ، قدم إلى إفريقيا سنة 1867م، و آمن بعدة أفكار قبل مجيئه إلى الجزائر وهي:
- 1- لابد من تنصير العرب بالقوة .

2- استئصال الإسلام من قلوب المسلمين الجزائريين وهي السياسة التي انتهجتها الإدارة الفرنسية منذ 1830.

3- العمل على استدراج المسلمين الجزائريين شيئا فشيئا نحو النصرانية ، وتمثل سياسة لافيغري استمرارية للوجود الروماني وقبلهم الوندالي في الجزائر ، وأن الفرنسيين وغيرهم ممن تشدهم الحضارة المسيحية لم ينسوا يوما بأن هذه الأرض قد درج عليها أجدادهم من قبل وأنهم جاؤوا لاستعادة مملكتهم المغتصبة .

وهو الابن الأكبر في عائلته المتكونة من أخ وأختين ، شغل أبوه ليون لافيغري منصب مفتش لدى مصلحة الجمارك بالمدينة أما عن أمه فهي لورا لاتريل وهما من عائلة بورجوازية ، هذا و يمثل القديس لافيغري المرحلة الثالثة الأهم و الأخطر في تاريخ التنصير في الجزائر ، لان التنصير في عهده بلغ ذروته حتى لقب بأبو التنصير في الجزائر وإفريقيا و صنفته أهم الدراسات التاريخية و الدينية و حتى الكتابات التاريخية بالشخصية بالأبرز طيلة القرن التاسع عشر.

ترى هذه الدراسة أن فترة لافيغري وسياسته وأفكاره جاءت ضد المتعصبين من المسلمين الجزائريين الذين رفضوا الأوروبيين على أراضيهم مع أن هؤلاء جاءوا ليحبوا فكرة إفريقيا اللاتينية التي كانت بالأمس مركز إشعاع وتنوير ، و من ذلك يكون لافيغري قد سعى إلى خلق أمة موحدة تجمع بين المسلمين والأوروبيين والسود على أرض الجزائر، وكان هدفه هو جعل الجزائريين بمثابة أبنائه رغم أنهم لم يعترفوا له بأبوتهم (15). كما أنه لم يكن يفكر أصلا في فرض النصرانية على الأفارقة وإنما أراد أن يقربها لهم عن طريق التسامح والمعاملة الحسنة، وإن تحقيق ذلك أفضل انتصار على الإسلام. أنظر:

بن الشيخ حكيم، المشروع التنصيري للكردينال لافيغري في الجزائر من خلال كتاب بول رمبو، 1830-1930 ، مجلة دراسات و أبحاث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، مجلد 10 عدد 4 دسمبر 2018 السنة العاشرة، ص 3، 4.

- 8- حمود، فريال، مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول ثانوي من الجنسين "دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، العدد: 27 ص 201 .
- 9- الميللي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري ، مؤسسة الضحى للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013، ص 272.
- 10- نفسه ، ص 274.
- 11- الشيخ أحمد حماني - رحمه الله من حديث له حول رغبة السيد عبد الحميد ابن باديس لإقامة الثورة. و يقول كذلك لقد سافرت إلى تونس لإتمام الدراسة ولم أحضر تطور هذه الفكرة الباديسية في نفسه، ولكنني علمت أنها وصلت إلى حد الإنجاز لو لا معاجلة الموت، فقد حدث الأستاذ حمزة بوكوشة - وهو من أقرب المقربين إلى الشيخ عبد الحميد والعاملين معه في ميادين العلم والإصلاح والسياسة - إنه دعاه ذات يوم للمبايعة على إعلان الثورة المسلحة، وحدد له تاريخ إعلانه بدخول إيطاليا الحرب بجانب ألمانيا ضد فرنسا، مما يحقق هزيمتها السريعة، أنظر: حماني أحمد، الصراع بين السنة والبدعة، ج 2، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1990.
- 12- صالح بوعزة، بعد الهوية والمواطنة في المقاربة التربوية الباديسية، مجلة التنمية البشرية ، العدد: 77، سطيف ، الجزائر، ديسمبر، 2015، ص 507.
- 13- عبد الحميد بن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين ، الشهاب ج 12 ، المجلد : 13 ، الجزائر، سنة 1937، ص 524. أنظر كذلك : رابح تركي ، التربية و الشخصية الجزائرية ، مجلة الأصالة ، عدد: 04 ، أكتوبر 1971، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية ، الجزائر ، ص 92.
- 14 - محمد الميللي ، مرجع سابق ، ص 48.

7. قائمة المراجع:

- 1- إبراهيم أنيس و عبد الحليم منتصر ، عطية الصوالي ، محمد خلف الله أحمد، المعجم الوسيط الصادر عن مجمع اللغة العربية، القاهرة، 2004.
- 2- الميللي محمد، المؤتمر الإسلامي الجزائري ، مؤسسة الضحى للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 2013.
- 3- أليكس ميكشلي ، الهوية ، ترجمة: علي وطفة ، دار وسيم للخدمات الطباعية ، دمشق ، 1993.
- 4- بن الشيخ حكيم، المشروع التنصيري للكردينال لافيغري في الجزائر من خلال كتاب بول رمبو، 1830-1930 ، مجلة دراسات و أبحاث في العلوم الإنسانية و الإجتماعية ، مجلد 10 عدد 4 دسمبر 2018 السنة العاشرة .
- 5- حمود، فريال، مستويات تشكل الهوية الاجتماعية وعلاقتها بالمجالات الأساسية المكونة لها لدى عينة من طلبة الصف الأول ثانوي من الجنسين "دراسة ميدانية في المدارس الثانوية العامة في مدينة دمشق، مجلة جامعة دمشق، العدد: 27 .
- 6- رشدي أحمد طعيمة ، الثقافة العربية الإسلامية بين التأليف والتدريس ، دار الفكر العربي، القاهرة ، 1998.
- 7- سالم لبيض، الهوية الإسلام، العروبة، التونسية، مركز دراسات الوحدة العربية، ط:01، بيروت 2009، ص 32.

- رسائل جامعية:

- 1- منصر، نجبية، مفهوم الذات وعلاقته بالتوافق النفسي لدى الطالب الجامعي، (رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، الجزائر. 2017.

- المقالات:

- 1- حماني أحمد، الصراع بين السنة والبدعة، ج 2 ، دار البعث،
قسنطينة، الجزائر، 1990.
- 2- صالح بوعزة، بعد الهوية والمواطنة في المقاربة التربوية الباديسية، مجلة التنمية
البشرية ، العدد: 77، سطيف، الجزائر، ديسمبر، 2015.
- 3- عبد الحميد بن باديس، دعوة جمعية العلماء المسلمين، والشهاب ج 12
، المجلد : 13 ، الجزائر، سنة 1937.